

فكر

إنها أحد أكثر أصوات اليسار التقدمي الأميركي حدةً، برزت إلى الواجهة من خلال كتابها No Logo عام 1999 الذي عدّه كثيرون هانيفستو لحركة مناهضة للعولمة. وها هي اليوم تعود إلى الضوء، بعدما اكتسب كتابها «عقيدة الصدمة: صعود راسمالية الكوارث» بُعداً راهناً بوجود وباء كوفيد 19. في ذلك

نُزحة وتحرير سمير طاهر

تصف الكاتبة نعومي كلاين (1970) تعاطي إدارة ترامب مع أزمة فيروس كورونا في الولايات المتحدة بالقول: «إن ما يحدث هو تراجيدياً جماعية، ولكنه أيضاً يشبه ما يحدث في موقع الجريمة». التصريح ورد في أحدث مقابلة صحافية معها، تحدثت فيها – عبر الإنترنت – إلى الصحافية السويدية ساندرّا ستينسكالو في 2 نيسان (أبريل) 2020 وتُشرت المقابلة في صحيفة «داغينس نيهتر» السويدية أخيراً. تعدّ كلاين أحد أكثر أصوات اليسار التقدمي الأميركي حدةً. وكانت مجلة «ذي نيويورك» قد صورتها في عام 2017 بأنها بمثابة نعومي تنومسكي، وهوارد زين قبل ثلاثين سنة. إعطاؤها هذا الدور كان باعثاً على السخرية، فهي أصلاً كندية: صحیح أن لديها جنسيتين لكون والديها أميركيتين. ولكنها لم تعيش في الولايات المتحدة سوى في العامين الأخيرين، مع زوجها صانع الأفلام الوثائقية آفي لوبس، وابنتها توماس (7 سنوات) في نيوجيرسي، إحدى أكثر الولايات إصابة بالفيروس.

تأجلت هذه المقابلة مرات عدة بسبب إصابتها بحمى وسعال شديد. تقول نعومي إن الأعراض متطابقة مع أعراض الفيروس، ولكنها ليست متأكدة، ولا فحص متاحاً للعامّة لكي تقوم به. وأضافت أنّ «كثيراً من الناس سيموتون، مع إنه كان يمكن أن لا يموتوا لو أنّ إدارة ترامب قامت فقط بالاستعدادات الأكثر ضرورة. فعلى خلاف الصين، نحن لم نباغت به، إذ كانت لدينا أشهر عدة لكي نستعد: ننتج كميات كبيرة من أقنعة الوجه ومواد الحماية، نجهز المستشفيات بالمعاملين، نهئى أجهزة الفحص. لكنهم لم يفعلوا أي شيء من ذلك، وبعناقدادي هذا إجراء».

حققت نعومي كلاين ظهوراً عالمياً عندما كانت في التاسعة والعشرين من العمر، عبر كتابها «لا شعار» (No logo) حول العلامات التجارية وسلطة الشركات متعددة الجنسية على العالم والثقافة. وقبل ذلك، عملت كمراسلة صحافية عند اثنتين من أكبر الصحف اليومية في كندا.

عقيدة الصدمة

في عام 2007، تلاخّ صعودها بصور كتابها «عقيدة الصدمة: صعود راسمالية الكوارث». في البدء، كان المفترض أن يكون كتاباً عن السحادي عشر من سبتمبر والإرهاب والحرب. لكن خلال سير البحث، حصل تغيير في الاتجاه. كانت كلاين قد سافرت إلى العراق كمراسلة صحافية للغزو الأميركي هناك. وفي 2004، حصل التسونامي في جنوب شرق آسيا، وبعده بركان كاترينا. شاهدت كلاين كيف كانت القوى النيوليبرالية تستغل - عمداً - حالات الصدمة التي خلقتها تلك الكوارث. وصفت في الكتاب كيف أسهمت الولايات المتحدة، أثناء احتلالها للعراق، في فرض قوانين

الكتاب، تحدثت كيف أسهمت الولايات المتحدة، أثناء احتلالها للعراق، مثلاً، في فرض قوانين لخصخصة اقتصاد ذلك البلد! هذه الاستراتيجية تتكرر اليوم مع الفيروس. هذا ما تؤكد في مقابلة أجرتها معها أخيراً الصحيفة السويدية «داغينس نيهتر»

نعومي كلاين: تغييرات مجتمعية هائلة بعد كورونا!

أكثر شمولية. جاءت تلك اللحظة عندما كانت، قبل خمسة عشر عاماً، ترسل تقريرها الصحافي، مغفورة بالماء إلى وسطها، من مدينة نيو أورليانز المضروبة بالإعصار. تقول: «كان إعصار كاترينا كارثة طبيعية ولكن السبب في أنه كان دميراً إلى تلك الدرجة في نيو أورليانز هو أن المدينة كانت مهملة لأن سكانها كانوا في معظمهم فقراء وأقرو أميركيين. وقتها أدركت أنه من غير الممكن فصل أزمة المناخ عن المشاكل الأخرى كالمساواة والتمييز العرقي».

تعرضت حزمة الإصلاح للنفذ من جهات عدة. العديد من الجمهوريين قالوا بأن الصفقة الخضراء الجديدة نوع من الاشتراكية المتخكرة. ومن جهة الديمقراطيين، كان النقد يتعلق بأن الإصلاح المقترح في الصفقة هو من الشمولية بحيث لا يمكن تطبيقه على الإطلاق. جوي باين، الذي صار الآن مرشح الديمقراطيين للرئاسة، وصف الإصلاح بأنه «إطار مهم» ولكنه لا يدعمه ككل. تعلق نعومي بالقول: «الصحيح هو أن الصفقة الخضراء الجديدة ليست بروتوكو لا مناخياً ضيقاً. إنها نموذج فكري جديد كلياً، إنها خطة لاقتصاد ما بعد الوقود الأحفوري. لكن التغيير الجذري ضروري لضرورة مطلقة، فلم يعد لدينا وقت للتغيير تدريجي. وفقاً للجنة الأمم المتحدة للتغيرات المناخية (IPCC)، سوف ترتفع درجات الحرارة مع استمرار المعدل الحالي للانبعاثات الغازية بحوالي ثلاث درجات حتى نهاية القرن. وحدث احتراق قوي كهذا هو تهديد لنسبة كبيرة من النظم الحيوية للأرض، ويمكن أن يتسبب في إطلاق احتباس حراري خارج التحكم البشري. ولحد من الاحتراق إلى درجة ونصف الدرجة، يجب خفض مستوى الانبعاثات الغازية إلى النصف حتى عام 2030. هذه الأرقام موجودة أساساً في اتفاقية باريس للمناخ التي خرج

ترامب منها». مع ذلك، فإن نعومي كلاين حذرة في تفاؤلها: «لقد جرى تنفيذ الصفقة الجديدة الأصلية New Deal عندما كانت الولايات المتحدة في حالة كساد. ففي وقت الأزمات يكون الناس على استعداد لإجراء تغييرات كبيرة، إنه أمر منطقي، فلماذا سيرغب الناس في تغيير المجتمع دراماتيكياً حين تكون البطالة منخفضة والاقتصاد مزدهراً؟ إنه ليس أمراً سهلاً، ولكني أظن أن حظوظنا في الحصول على شيء تقدمي كالصفقة الخضراء الجديدة هي اليوم أكبر مما كانت قبل الوباء».

تدعو كلاين هذا بالقرعة التطورية، فلا حاجة لأن تتبع الأزمة أو الكارثة عقائد صدمة، إذ يمكن لهما أن يصبحا أساساً للتوق إلى شيء آخر. وبهذه الطريقة يصيران بداية لمجتمع أكثر مساواة واستدامة. القبول بالوضع الراهن لم يعد خياراً. أنا مقتنعة بأننا سنشهد بعد الوباء تغييرات مجتمعية هائلة، تقول نعومي بثقة.

السفن. تقول نعومي: «إنني أتوقع عندما أرى موارد العالم تنكمش، وأتوقع على أن ابني الذي يحب الطبيعة سيكبر في وقت يتسّم بانقراض الأنواع المدهشة. وأعرف أن أياً من هذه الأشياء لن يتغير بمجرد أنني أكتب الكتب، فما يمنع حدوث هذه الأشياء هو حركات شعبية قوية وواعية بأهدافها. إذا كان لي أن أسهم بشيء من أجل حركة أميركيين، وقتها راضية، بل أكثر من راضية: ساكون سعيدة!». وتشير إلى توسع المساحة الجماهيرية للنيسار في أميركا قائلته: «بعد سنة من صدور «عقيدة الصدمة»، حدثت الأزمة المالية، وعندما صار لزاماً لفت الاهتمام إلى جشع المصارف ووجوب أن تحلّل الدول المسؤولة عن الأزمة. في تلك اللحظة، كان اليسار عبارة عن قول لا! كان ثمة افتقاد إلى بديل جري، عادل ومستدام، للنيلينبرالية. والآن لدينا هذا البديل».

الصفقة الخضراء الجديدة

تصف نعومي كلاين الصفقة الخضراء الجديدة Green Deal (حزمة إصلاحات لسياسة المناخ، نشرتها عضو الكونغرس الديمقراطية الكساندريا أوكاسيو-كورتيز ونائب الرئيس سابقاً، والنشاط المناخي، آل غور) بأن فكرتها الأساسية هي استغلال الناس وقمعهم، والاستغلال الجائر لموارد الأرض المحدودة، وحيث العملة واحدة. بمعنى أن غاية الصفقة الخضراء هي أن تتخلى الولايات المتحدة تدريجاً عن الوقود الأحفوري، وفي الوقت نفسه يتم تقليل التفاوت الاقتصادي؛ إذ يتم ترحيل الأموال وقوة العمل من قطاع الوقود الأحفوري إلى مصادر الطاقة المتجددة، التي ستشكل قطاعاً خالقاً لأعمال أكثر بكثير مما توفره صناعة الغاز. لكن هذا، كما توضح نعومي، يتعلق أيضاً بتقليل الاستهلاك بشكل عام، وهو أمر يصعب التوفيق بينه وبين النظرة الشائعة إلى العالم التي تعدّ النمو هو مقياس النجاح. وتضيف موضحة:

«سنحتاج إلى معايير جديدة للنجاح الاقتصادي، ينبغي أن يُقاس النجاح ببناءً على ما إذا كان يحمي ويحافظ على الدورات المتجدّدة والتي تمنح الحياة. سيكون هناك نمو ولكنه ليس نمواً عشوائياً. على سبيل المثال، يُظهر هذا الوباء كم هي مهمة مهن الصحة والرعاية، إنها «أعمال خضراء» وهي بذلك قطاع يمكن أن يُسمح له بالنمو بدون أن تُخرّب الكوكب. أما الاسم نفسه Green new deal فيرجع إلى الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية New Deal التي أدخلها فرانكلين روزفلت كردّ على الكساد الكبير الذي أعقب انهيار سوق الأوراق المالية سنة 1929».

في أحدث كتبها «في النهي، خطاب سأري إلى العالم من أجل صفقة خضراء جديدة»، تصف كلاين انتقالها من مقاربة العالم وكوارثه من خلال منظور اقتصادي إلى نظرة

الانتخابية التمهيدية، ومثلته في اجتماعات عدة، وتحدثت إلى أنصاره حول التهديد المناخي والسياسة المناخية. تقول إنها لم تعمل في حياتها أبداً بهذه الشدة كما فعلت في تلك الحملة، مؤكدة: «لو كان هذا الوباء قد أصاب الولايات المتحدة قبل ثلاثة أسابيع فقط وكشف بذلك عن الوحشية في قطاع الصحة المساق بالآرهاب، لكان بيروني ساندرز قد فاز. أنا مقتنعة بهذا بكل صدق». وهنا تقسائل الصحافية حول سر عدم ميل الأميركيين إلى الحلول الجماعية كالرعاية الصحية العامة مثلاً، فتقرّ نعومي بأنها هي نفسها تجهد في محاولة فهم الأصل في عدم الميل هذا، خصوصاً الآن. وتضيف: «غالبية استطلاعات الرأي تظهر أن الديمقراطيين يريدون أن يكون

ثقافة كراهية اليسار في الولايات المتحدة عميقة بشكل لا يصدق. (ن. ك.)

لا يمكن فصل أزمة المناخ عن المشاكل الأخرى كالمساواة والتمييز العرقي. (ن. ك.)

للجميع الحق في نوع ما من الرعاية الصحية، لكن ثقافة كراهية اليسار في هذه البلاد عميقة بشكل لا يصدق. كثير من الناس أبدو سياسة بيروني ساندرز ولكنهم لم يصوتوا له. كانوا يخشون أن ترامب سيذبحه لأنه دعا نفسه اشتراكياً ديمقراطياً. الخوف من كلمة الاشتراكية شديد جداً. أعرف كل شيء عن هذا، استرني هاجرت من الولايات المتحدة بسبب ذلك».

يسارية بالورثة

كان والدا نعومي قد قدما إلى كندا قبل ثلاثة أعوام من مولدها في مونتريال 1970. والدتها بوني شير كلاين مساواتية صانعة أفلام وثائقية، ووالدها مايكل كلاين سيصنح طبيباً، وكلاهما كان معارضاً لحرب فيتنام. كانت قد تبقت لوالدها مايكل سنة واحدة في دراسة الطب عندما استدعي لحرب فيتنام، فحاول التملص، وسجل نفسه رافضاً لحمل السلاح وعرض خدمة غير مسلحة. لكن لم تتم الموافقة على ذلك، وصار لزاماً عليه الاختيار بين عقوبة السجن أو السوق للجيش، وعندما قرر والداه أن يهاجرا من الولايات المتحدة. لكن الميول اليسارية للأسرة تعود إلى زمن أبعد من ذلك. فجدّ نعومي لأبيه كان يعمل في صناعة الرسوم المتحركة في شركة «والث ديزني»، وكان ناشطاً نقابياً أيضاً. وبعد إضراب 1941 في شركة «ديزني»، فصل من عمله ووضِع اسمه في القائمة السوداء في مجال عمله، فاضطر للعمل في مصنع لبناء



القبول بالوضع الراهن بعد خيار... لنسب لمجتمع أكثر مساواة واستدامة

